

القاعدة الشعبية

مؤلفات الرئيس محمد أنور السادات

إننا نبحث اليوم أمرا خطيرا من أمور حياتنا، إننا اليوم بسبيل مناقشة الطريقة والوسيلة التي نستطيع نحن الشعب أن نمارس حقنا كاملا في الرقابة على حكامنا...إننا اليوم وبعد ما مضى من معارك نستطيع أن نلتقى لنتحدث في الكيفية أو الطريقة التي نستطيع بها نحن الشعب أن نحكم أنفسنا بأنفسنا... فإن أمرنا اليوم بيدنا نحن وليس بيد أي حاكم أجنبي عن هذا البلد، لا بيد أحزاب ولا بيد الاستعمار...، وإنما أمرنا كله بيدنا نحن الشعب... وعلينا أن ننهض بمسئوليتنا، وعلينا أن نختار الطريق الذي نحس والذي نؤمن أنه سيوصلنا إلى غاياتنا وأهدافنا، ويوصلنا إلى آمالنا في خلق مجتمع ترفرف عليه الرفاهية ويتمتع كل فرد فيه بفرص متكافئة وبحرية كاملة

أنور السادات

مقدمة

إننا نبحث اليوم أمرا خطيرا من أمور حياتنا، إننا اليوم بسبيل مناقشة الطريقة والوسيلة التي نستطيع نحن الشعب أن نحكم أنفسنا بها... ونستطيع أيضا نحن الشعب أن نمارس حقنا كاملا في الرقابة على حكامنا.....

إننا اليوم وبعد ما مضى من معارك نستطيع أن نلتقي لنتحدث في الكيفية أو الطريقة التي نستطيع بها نحن الشعب أن نحكم أنفسنا بأنفسنا.....

أحزاب ولا بيد الاستعمار. وإنما أمرنا كله بيدنا نحن الشعب. وعلينا أن ننهض بمسئوليتنا وعلينا أن نختار الطريق إلى آمالنا في خلق مجتمع ترفرف عليه الرفاهية ويتمتع كل فرد فيه بفرص متكافئة وبحرية كاملة.....

ولن نستطيع أن نغفل ما مضى من تاريخنا، فلكي نعيش اللحظة التي نحيها اليوم ولكي نفكر في وضع الطريق والوسيلة التي نطبق بها نظام الحكم في المستقبل، علينا أن نعود إلى تاريخنا، علينا أن نعتبر بما مضى بنا من أحداث سواء أكانت هذه الأحداث قبل قيام الثورة أو منذ قيامها إلى يومنا هذا.....

علينا أن نربط ماضينا بحاضرنا... وأن نخرج بالدروس التي نستطيع بها أن نبني مستقبلا متحرر
من كل أخطاء الماضي... وفي الوقت نفسه يقوم على أسس متينة أهمها أن الشعب هو مصدر
السلطات.....

عودة إلى الوراثة

لنعد إلى الوراثة قليلا لنرى الخطوات التي قامت بها الثورة وانتهت إلى الوضع الذي نحن فيه
اليوم.....

أننا نريد اليوم أن نبحث فيما تم.... نريد أن نعود قليلا إلى الوراثة لكي نعرف المعنى الذي تم
منذ قيام الثورة إلى يومنا هذا. فهذا الأمر يهمنا جميعا لأن الأرض أرضنا والبلد بلدنا وحكامنا
اليوم ليسوا غرباء عنا، أن الذي يحكمنا اليوم هو جمال عبد الناصر... ليس حاكما تركيا ولا
شركسيا... وإنما حاكمنا ابن من أبناء بلدنا. ووهبنا الله سبحانه وتعالى جمهورية.

وهبنا أرضا بعد أن كانت هذه الأرض ملكا لفئة تصورت أنها تستطيع أن تتحكم في
رقابنا.....

نظام الحكم قبل الثورة:

إننا نذكر تلك الحقبة التي سبقت قيام الثورة. نذكر تماما كيف كنا نعيش على هذه الأرض، ونحن
نحس إننا غرباء... ونعلم أن أول عمل قامت به الثورة كان طرد الملك الخليفة الفاسد بعد ثلاثة
أيام فقط من قيام الثورة. طرد من هذه الأرض لأنه كان نجسا، وهذه الأرض أرض طاهرة لا
يعيش عليها الأنجاس. طرد الملك الخليفة الفاسد لأنه كان رأس نظام فاسد مثله
تماما.....

فقد كان هناك جهاز جهنمي يحكمنا ويسيطر علينا، ويحكم أنفسنا كنا نحكم بجهاز حكم متكامل.
كان ذلك الجهاز مكونا من ملك وحكومة وبرلمان من مجلسين ومع ذلك لم يكن الشعب أبدا يعبر
عن رغباته. أو يشترك في حكم نفسه ويشارك في تقرير مصيره أبدا. وإنما كان مصيرنا دائما بيد
ذلك الملك، وأفراد حكومته الذين لا هم لهم إلا الجاه والسلطان والمنافع
والمكاسب.....

وقامت الثورة للقضاء على حكم فاسد.....

حكم كان يتمثل في ملك خليف.....

وأحزاب تتبادل الحكم وتتبادل الوزارات.....

وبرلمان، مكون من مجلس نواب ومجلس شيوخ.....

وكانت كل هذه الأجهزة تكون نظام الحكم في بلدنا قبل سنة 1952.

... الديمقراطية قبل الثورة:

وكانوا يطلقون على هذه الطريقة في الحكم كلمة الديمقراطية. أي أن الشعب كان يحكم نفسه بنفسه من خلال الأحزاب. ومن خلال مجلسي النواب والشيوخ. وكنا جميعا نعرف أن الشعب لم تكن له كلمة في حكم نفسه، كان الذي يحكم هو الملك عن طريق وزاراته وكان هؤلاء الوزراء هم رجال الأحزاب. وكل حزب يأتي لا يبحث إلا عن المغانم لنفسه ولمحاسبيه وأنصاره.....

الديمقراطية ... قبل الثورة:

وكانوا يطلقون على هذه الطريقة في الحكم كلمة الديمقراطية. أي أن الشعب كان يحكم نفسه بنفسه من خلال الأحزاب. ومن خلال مجلس النواب والشيوخ. وكنا جميعا نعرف أن الشعب لم تكن له كلمة في حكم نفسه، كان الذي يحكم هو الملك عن طريق وزارته. وكان هؤلاء الوزراء هم رجال الأحزاب. وكل حزب يأتي لا يبحث إلا عن المغانم لنفسه ولمحاسبيه وأنصاره.....

أما بقية الشعب. أما نحن جميعا فلم يكن أحد يحس بمشاكلنا، ولم يكن أحد يحس بمطالبنا. ولم يكن أحد من وزراء ولا الحكام في ذلك الزمان يعرف إننا في حاجة إلى المشاريع لكي نعيش. وإن في مصر كل سنة مواليد تعدادهم نصف مليون يزيدون كل سنة..... نصف مليون في حاجة إلى الغذاء. وفي حاجة إلى العلاج، وفي حاجة إلى ريف العيش..... كل هذا لم يكن له حساب.

وكانوا يسمون هذا النظام نظاما ديمقراطيا يتمتع فيه الشعب بحكم نفسه وبالسيطرة على مصيره..... ونحن نعلم جميعا أنه كان أسوأ نظام عشنا فيه. لقد كانت ديمقراطية فعلا، لكن بالنسبة لأولئك الزعماء وأنسبائهم وأقربائهم وكانت أبشع أنواع الديكتاتورية بالنسبة للشعب..... بالنسبة للمجموع... بالنسبة للفلاحين .. بالنسبة للعمال... بالنسبة لجميع طوائف هذا الشعب، لأن الحكومة كانت تحكم وهي في واد. والشعب في واد آخر.

وكان الحكم كما نعرف جاه وسلطان وغنى ولم تكن الوزارة تعني إلا أن الوزير يصل إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه إنسان من جاه وسلطان ثم يبدأ في إغداق النعم على المحاسيب والإصهار وينتهي دوره فيخرج ويأتي الوزير الذي بعده وهكذا. أما باقي الشعب فبعيد عن كل إصلاح، وبعيد عن كل تفكير.....

مسئولية البرلمان أمام الحكومة:

وكان مصيرنا بيد تلك المجالس البرلمانية الهزيلة التي بدلا من أن تسأل الحكومة، كانت تخشى الحكومة. لأن كل فرد فيها كان يحرص على صالحه. وكان الملك بإشارة منه يزيل الوزارة ويأتي بوزارة جديدة وكان المفروض أن الوزارة تكون مسئولة أمام البرلمان لأن البرلمان هو الشعب وممثلو الشعب في البرلمان مفروض فيهم أن يحاسبوا السلطة التنفيذية باسم الشعب، ولكن كما نعلم جميعا كان البرلمان مسئولا أمام الحكومة..... وكان رئيس الحكومة يستطيع في أية لحظة من اللحظات أن يطيح بهذا البرلمان، ويأتي ببرلمان آخر بناء على أوامر الملك. ويا ليت الملك كان يقبع في بلدنا مستعمر خبيث لثيم غادر..... كان يملي إرادته على الملك. لقد كان الإنجليز يسيرون الملك، ويأمرون الملك فيأمر الملك بالتالي من كانوا يسمون أنفسهم بالزعماء ورجال السياسة ورجال الأحزاب، وهكذا كان المستعمر يملي إرادته على الأحزاب ويملي إرادته على البرلمان كان يملي إرادته على كل شيء..... ذلك المستعمر الذي أراد أن يتخذ من وطننا قاعدة لكي يعبث فسادا في هذه المنطقة..... في المنطقة العربية كلها التي نعيش فيها.....

الإنجليز والملك والزعماء.

وهكذا، ظلنا أكثر من 50 سنة نحكم بواسطة أجهزة، وكانت هذه الأجهزة- كلها يسيطر عليها المستعمر، وهو بريطانيا، وكان زعماء الأحزاب يسمون أنفسهم ولاة الأمور في ذلك الوقت كان هؤلاء الزعماء، ينشأتمون... وكان كل واحد منهم يرمي أخاه بأبشع التهم..... ولكنهم جميعا حين يأتون إلى الملك، يظهرون الخضوع والولاء... كلهم حين يأتون إلى الملك يقبلون يده ويركعون أمامه..... وكان الملك والزعماء جميعا، يأترون بأمر بريطاني لأن بريطانيا تستطيع أن تقيهم أو تخرجهم.... الملك والوزراء والبرلمان..... وكان كل سلطة في هذا البلد..... كان قبل سنة 1952.....

قيام الثورة:

.... طرد الملك:

وقامت الثورة في 23 يوليو 1952 وأول عمل هدفت إليه هو أن تطيح برأس هذا النظام
الفاسد.....

وفي يوم 26 يوليو سنة 1952 وبإرادة هذا الشعب، طرد الملك الفاسد لأنه كان رأس هذا النظام
الفاسد ولأننا صممنا على أن هذا البلد لن يحكمه أبدا بعد اليوم غريب أو أجنبي عنا، وإنما حاكمه
يجب أن ينشأ من بين الفلاحين، منا، من داخل هذا البلد. ومنذ ذلك التاريخ وأرضنا ملكنا،
ومصيرنا بيدنا، منذ ذلك التاريخ وقد أراد الله سبحانه وتعالى لنا أن نعز..... أراد الله
سبحانه وتعالى لنا أن نعز بعد ذلة... وأراد الله سبحانه وتعالى لنا أن نملك بلادنا، وأن نملك
مصيرنا وأن نعيش أحرارا على أرضنا..... وألا نسمح لأي إنسان ولا لأية قوة أن نعود إلى
إذلالنا من جديد.....

منذ ذلك التاريخ حملنا المسؤولية نحن الشعب... نحن الشعب الذي طرد ذلك الملك. حملنا
المسئولية والأمانة التي أراد الله سبحانه وتعالى أن يضعهما على اكتافنا... مسئولية حكم بلدنا...
وأمانة السيطرة على مواردنا وعلى مصرتنا وعلى حياتنا فلن نعود بعد اليوم سلعة ولا ملكا
لأحد... لا ملك يتحكم فينا... ولا زعماء يبيعون ويشترون فينا. وإنما نحن بإرادتنا نختار
زعامتنا.. نحن بإرادتنا نختار ما نريد من أشكال الحكم التي تتناسب معنا.. وتتناسب مع ظروفنا
ومع بيئتنا ومع تقاليدنا. فأول خطوة قامت بها الثورة... كانت الإطاحة بذلك الملك.....

... الأحزاب:

وكان علينا بعد ذلك أن نطهر الحياة السياسية من كل من كانوا يعبثون فيها باسم الشعب وباسم
الدستور وباسم الديمقراطية الكاذبة.....

كان هناك ملك طردناه.....

وكانت هناك أحزاب والأحزاب كما نعرف كانت لها زعامات، وكنا نسمع عن فلان باشا زعيم
حزب كذا..... وفلان باشا زعيم حزب كذا.....

أنهم كانوا مواطنين حقيقة ولكنهم انفصلوا عنا، انفصلوا عن أصلهم وعن تراثهم، ظنوا أن الرتب وأن الجاه والوزارة والسلطان تغنيهم عن أرضهم وعن أهلهم وعن مواطنيتهم، ظنوا أن الدنيا أصبحت في يدهم وأن لا معقب عليهم إلى يوم القيامة..... ملكوا كل شيء.....

وطلبت الثورة من الأحزاب- وكانت تحسن الظن بهم- أن يطهروا أنفسهم لكي يتسلموا مسئولية الحكم.

ولكن الأحزاب ماطلت في هذا التطهير وظننت أنها تستطيع أن تخدع الثورة، وظنت أن فارق ذهب وإن مجلس الثورة جاء بدل فاروق. وإنهم يستطيعون أن يعاملوا مجلس الثورة كما 0كانوا يعاملون فاروق تماما. بمعنى أنهم يبحثون طلبات مجلس الثورة ويجيبوها ويحققوها ويحققوها وبعد ذلك يعطيهم مجلس الثورة الحكم ويأتي بهم إلى الوزارة، ولكن هؤلاء الباشوات ورجال الأحزاب نسوا أن مجلس الثورة لم يكن يريد شيئا لا يريد جاهها، ولا يريد سلطانا، وإنما جاء مجلس الثورة لكي يحقق أهداف الشعب. أهداف الشعب التي أهدرت طوال السنوات الماضية قبل الثورة.....

جاء مجلس الثورة: لكي يحقق هذه الطلبات... مجلس الثورة يريد أن يملك الأرض للفلاح وإلا يكون مهددا في حياته ورزقه من صاحب الأرض.....

مجلس الثورة يريد للعمال أن يعيشوا في أمان، وأن يحصلوا على أجور عادلة وأن تكون معاملة أصحاب الأعمال لهم معاملة عادلة.. يريد مجلس الثورة أن تصان حقوق العمال وحقوق أصحاب العمل أيضا.....

مجلس الثورة يريد أن يوزع هذه الأرض على أصحابها الحقيقيين الذين هم أهلنا والذين نشأوا وتربوا على هذه الأرض والذين يزرعون هذه الأرض. كانت تلك هي مطالب مجلس الثورة.

وأعتقد الباشوات ورجال الأحزاب.... أن هذه الطلبات التي يطلبها مجلس الثورة إنما هي طلبات شخصية في الجاه والسلطان.....

وعندما طلب مجلس الثورة من الأحزاب أن تطهر نفسها لكي تتولى زمام القيادة ماطلت وسوفت، وأكثر من ذلك بدأت هذه الأحزاب تتآمر ظنا منها أن الأمر سهل، وإنها تستطيع أن تقوم بثورة أخرى تحقق لها السيطرة بعد أن زال من طريقها فاروق الذي كانت تخشاه الأحزاب جميعا.....

رفض تحديد الملكية

ولما طلب مجلس الثورة من الأحزاب أن توافق على تحديد الملكية، وأن لا يملك إنسان أكثر من 200 فدان، والأرض الزائدة توزع على الفلاحين رفضت الأحزاب. رفضت لأنها لا تؤمن أبداً بأن لهذه الأرض أصحاباً هم أحق بملكيتهما لأنهم فعلاً هم الذين يزرعونها ويخرجون ثمارها.....

عندما اختلف مجلس الثورة مع الأحزاب أنفسهم على هذا البلد حكماً وتصوراً أنهم لا يمكن أبداً أن ينزلوا عن حقوقهم في ملكية الأرض ومن عليها....

إلغاء الأحزاب:

وفي يناير 1953 كان واضحاً لنا أن الأحزاب لم تعد تمثل هذه البلاد. ولم تعد تمثل الشعب... ولا يجب أبداً أن يترك لها أمر القيادة في هذا الوطن. ومن أجل ذلك اتخذ قرار إلغاء الأحزاب في يناير 1953.

وألغى الدستور الذي كانت تحتمي فيه هذه الأحزاب.

وحددت فترة انتقال ثلاثة سنوات نستطيع فيها أن نقضي على العقليّة السياسية التي كانت موجودة وهي عقليّة الحزبية والأحزاب، ونقضي أيضاً على أولئك الذين كانوا يسمون أنفسهم بالزعماء والباشوات، لأنه لم تعد أرضنا في حاجة إلى باشوات ولا زعماء. وإنما أرضنا في حاجة إلى مخلصين يعملون ويكدحون من أجل الشعب كله.

... فترة الانتقال:

وعشنا بعد ذلك 3 سنوات في فترة انتقال.. بدأت من يناير 1953 وانتهت في يناير 1956 وفي خلال هذه السنوات الثلاث... في خلال فترة الانتقال لم تكن في البلاد أحزاب... وانتهت قصة الزعامات والزعماء... ولم يكن هناك دستور تخفي من ورائه الأحزاب، وإنما كان هناك في خلال السنوات الثلاث دستور مؤقت تحكم به البلاد لكي يجنبها كل ما كانت تقاسيه من مظالم فيما قبل الثورة.....

جمال بحمل الأمانة بأمانة:

وفي خلال السنوات الثلاث وهي فترة الانتقال هذه كان يوجد مجلس قيادة الثورة، وكان مجلس قيادة الثورة هذا هو نفسه الحكومة، بمعنى أن قيادة الثورة كانت تمثل السلطة التنفيذية وهي التي

تتولى كافة السلطات بقيادة زعيمنا جمال. وحمل جمال طوال تلك السنوات الأمانة عنا جميعا... حملها بشرف وأمانة.. وحقق لنا انتصارات رائعة.. وكنا جميعا من خلفه. كنا جميعا نؤيده ونشد من أزره... كنا جميعا نثق فيه.. كنا جميعا نسانده في كل معركة دخلها... ومن أجل ذلك انتصرنا جميعا....

واستطعنا خلال هذه السنوات الثلاث أن نحقق كثيرا من الانتصارات باسم الشعب وبإرادة هذا الشعب. استطعنا فعلا في هذه السنوات أن نقضي على الحزبية وعلى العقلية السياسية.. الحزبية التي كانت تسيطر على البلاد. أمكننا فعلا أن نقضي على تلك الأحزاب التي كانت تدعي لنفسها أنها وصية على الشعب وإنها هي التي تتحدث باسم الشعب، وهي التي تحكم باسم الشعب. مع إنها في الواقع كانت تستغل أقوات الشعب وتستغل موارد الشعب لأشخاص معدودين.

أمكن خلال هذه السنوات أن نقضي على كل تلك المظالم، وعلى هذه الأحزاب وعلى الزعامات المدعية، وعلى السياسيين المحترفين، وأن نطهر الميدان السياسي لكي يقوم حكم ديمقراطي سليم. وكان هذا في نظرنا أروع ما تم خلال سنوات الانتقال الثلاث...

وأمكننا أيضا أن نقضي على الرجعية التي كانت تتمثل في الإقطاع والإقطاعيين في البلاد. ومكنا أيضا أن نطهر الميدان السياسي من الدجالين والمشعوذين الذين يستغلون الدين لأغراضهم الخاصة.

واستطعنا أيضا أن نقضي على كل المؤامرات الرجعية التي كانت تريد أن تعود بنا إلى الوراء. واستطعنا أيضا أن نقضي على الانقسام الذي كان يسود الشعب.

وأمكننا أيضا في خلال سنوات الانتقال أن نعقد اتفاقية الجلاء مع بريطانيا في سنة 1954 بعد مرور أكثر من 74 سنة ظلت بريطانيا تماطل فيها ولا تسلم بحقنا في الحرية والاستقلال.

التمهيد بقيام حياة ديمقراطية

وأمكن أيضا في خلال فترة الانتقال أن نمهد لقيام حياة ديمقراطية حقيقية في البلاد.

فحين قامت الثورة في 23 يوليو 1952 كانت ولا تزال تؤمن بأن السبيل الوحيد والسبيل السليم لكي يحكم الشعب نفسه بنفسه هو أن تطبق الديمقراطية فعلا وعملا لا قولاً ولا تهريجاً كما كان يحصل في الماضي. ومن أجل ذلك رأينا أن المبدأ الأول من مبادئ الثورة هو القضاء على الاستعمار وأعوان من الخونة. والمبدأ الثاني هو القضاء علي سيطرة رأس المال على الحكم.

والمبدأ الثالث هو القضاء على الإقطاع، والمبدأ الرابع هو إقامة عدالة اجتماعية. والمبدأ الخامس هو إقامة جيش وطني قوي. والمبدأ السادس هو إقامة حياة ديمقراطية سليمة.

القضاء على الاستعمار وأعدائه

وفي طريقنا لكي نصل فعلا إلى الديمقراطية. إلى حياة ديمقراطية نظيفة وحياة ديمقراطية سليمة. لم يكن من المستطاع أن تكون هناك ديمقراطية أو حرية يتمتع بها كل فرد منا، في الوقت الذي يقبع فيه في البلد استعمار. ليس استعمار أجنبيا فقط وإنما استعمار له أعوان من داخل هذا البلد. كان لابد إذن من القضاء على الاستعمار وأعدائه الذين يتآمرون معه في داخل هذا الوطن لكي تحقق للمواطنين فعلا حرية حقيقية يستطيعون في ظلها أن يقولوا رأيهم بصراحة ولا يخشون أحدا ولا يخشون شيئا.

القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم

وكان لا يمكن أيضا أن تقوم حياة ديمقراطية سليمة ورأس المال يسيطر على الحكم. كان لا يمكن أبدا السماح لطبقة أو لفئة أيا كانت هذه الطبقة وهذه الفئة أن تسيطر أو تهيمن على مصائر الشعب. ففي ظل هذه السيطرة لن يستطيع المواطنون أن يتنفسوا بحرية أو أن يقولوا رأيهم بصراحة. لأن تلك الطبقة كانت ستطاردهم. وكانت ستقف دائما في وجه من ينادي بالحرية وفي وجه كل من ينادي بالديمقراطية الحقيقية، ونحن نعلم جميعا أنه في أواخر فاروق اشترت النظم ورشي فاروق لكي يأتي بحكومة معينة.

كان لابد هو القضاء على الإقطاع الذي كان يشكل أكبر الأخطار على شعبنا، فالإقطاعيون لم يكونوا يملكون الأرض وحدها فقط. وإنما كانوا يملكون الأرض ومن يعيش على هذه الأرض من البشر.

وكان الإقطاعيون في حلف مستمر مع الاستعمار ومع الملك الفاسد. وكانت مصالحهم متشابكة، وفي حلف متين ضد الشعب. وأخوف ما كانوا يخافونه هو أن يأتي اليوم الذي يستطيع فيه الشعب أن يستكمل شخصيته وأن يستولى على حقوقه منهم. وفي هذه الحالة ينهار الاستعمار وينهار الملك وينهار الإقطاع.

الإقطاع إذن كان يمثل خطرا جسيما على كياننا. ونحن نذكر في تاريخنا أمثلة حية على ذلك. كان الإقطاعيون المصريون للأسف حينما يريدون أن ينفذوا أمرا يتوجهون إلى قصر الدوبارة

حيث السفير البريطاني وكانت تنفيذ أرائهم. ونذكر أيضا من تاريخنا كيف أن أولئك الإقطاعيين كانوا أيضا في حلف مستمر مع تلك، فمصالح الاثنتين واحدة وعدو الاثنتين واحد وهو الشعب.

وكان لا يمكن أن تكون هناك حرية ولا ديمقراطية والإقطاع موجود في هذا البلد، كيف كان يستطيع الفلاح أن يعبر عن رأيه؟ ! وكان لا يمكن لأي فلاح أن يعبر عن رأيه بصراحة الإقطاعي له بالمرصاد. لأن الإقطاعي كان يملك الأرض ومن عليها. ومن أجل ذلك كان المبدأ الثالث هو القضاء على الإقطاع. وتم فعلا القضاء على الإقطاع- بصدور قانون الإصلاح الزراعي وتوزيع الأرض على الفلاحين - في سبيل الوصول إلى حياة ديمقراطية سليمة.....

إقامة عدالة اجتماعية

أما المبدأ الرابع فهو إقامة عدالة اجتماعية.....

ولقد أحسننا أيام ما قبل الثورة بما كانت تطبقه الأحزاب من نظم تجعل منا طبقات مختلفة متنافرة.. وتقسّم الشعب إلى أسياد وعبيد.....

.... كلنا نعلم أنه لم يكن مسموحا مثلا أن يدخل المدرسة كل من يستطيع أن يتفوق وإنما كان دخول المدارس لفئة خاصة هي أبناء الخاصة.

وكلنا نعلم أن بلدنا كان منقسما إلى قسمين قسم هم الأنصار والأصهار والمحاسيب، والقسم الآخر هو الشعب الذي لا يصل إليه شيء على الإطلاق من حقوقه.. كانت الفرص تتاح لفريق ضئيل والشعب كله محروم ومضغوط عليه.

العدالة الاجتماعية تعني أن يأخذ كل مواطن متكافئة مع أخيه بصرف النظر عن الغني أو الفقير، وبصرف النظر عن أي اعتبارات. ونحن نعلم أنه كان لا يمكن أبدا أن تكون في بلدنا حرية وبعضنا أسياد والبعض الآخر عبيد. فقد كان الملك التركي الأصل وكنا نحن جميعا نشكل طبقة الفلاحين أي العبيد.

كان لا يمكن أبدا أن تقوم ديمقراطية أو حرية حقيقية إلا بالقضاء على كل هذه الفوارق المصطنعة، وقد كان أن طرد الملك، وبطرده عادت الأرض إلى الفلاحين وعادت السيادة إلى أصحابها الفلاحين.

من أجل ذلك كان لابد من تطبيق العدالة الاجتماعية لكي يستطيع كل فرد أن يحس بالحرية المطلقة وأن يحس بأنه في هذا الوطن له من الحقوق ما لكل مواطن يعيش على هذه الأرض.. لا فوارق ولا سادة ولا عبيد، وإنما نحن جميعا مواطنون شرفاء نعمل من أجل بلادنا وندافع عنها ضد العدوان وضد المؤامرات.....

إقامة جيش وطني

وكان لابد لكي تقوم حياة ديمقراطية سليمة أن يحس كل فرد بالحرية فعلا. كان لابد لنا من جيش قوي جيش يدافع عنا أي عدوان. وفي الوقت ذاته يشعرونا بكرامتنا وبعزتنا فلا نحتاج إلى أحد غريب لكي يدافع عنا. وإنما نحن الذين ندافع عن أنفسنا وندافع عن أرضنا التي استرددها من أولئك الذين اغتصبوها. استرددها من الملك ومن عائلته التي كانت تملك ثلث الأراضي الزراعية في بلدنا، واسترددها من الإقطاعيين ومن رجال الأحزاب الذين كانوا يتحكمون في مصيرنا باسم الدستور.

كان لابد أن يوجد لنا جيش قوي لكي يدافع عن أرضنا وعن سيادتنا وعن إرادتنا.. ومن غير هذا الجيش كنا لن نستطيع أن نمارس الحرية أو الديمقراطية.. فقد كان التهديد لا يزال من حولنا وكانت المؤامرات ما تزال تحيط بنا....

كان لابد أن يوجد لنا جيش قوي يدافع عن حريتنا وعن إرادتنا وعن استقلالنا وعن حقنا في أن نقرر مصيرنا بأنفسنا، لا أن تقرر لنا بريطانيا أو أمريكا أو فرنسا أو الملك الطاغية أو الأحزاب الفاسدة.

وهكذا يتضح انه كان من المحتم أن تطبق مبادئ الثورة الخمسة حتى يمكن أن ننعم بحياة ديمقراطية سليمة وحرية كاملة حقيقية وهي الهدف السادس من أهداف الثورة.

إقامة حياة ديمقراطية نظيفة.

ونريد أن نقف عند كلمة ديمقراطية وقفة قصيرة....

لقد كانت الديمقراطية كلمة أرادوا بها في الماضي أن يفرضوا على الشعب حكم الإقطاع، وحكم الملكية وإرادة الاستعمار.

كانوا يقولون أن الشعب كان قبل الثورة يحكم حكما ديمقراطيا لأن في القاهرة مجلس شيوخ ومجلس نواب وحكومة حزبية وملكا.

كان يكفي في نظرهم أن تكون هذه الأجهزة موجودة لكي يقال أن الشعب يحكم حكما ديمقراطيا.
وأن البلاد تعيش في ديمقراطية.

وعندما قامت الثورة في 23 يوليو سنة 1952 أعلنت أنها تريد أن يحكم الشعب حكما ديمقراطيا
سليما وكان هذا هو المبدأ السادس من مبادئها.

وقد مهدت الثورة الطريق لتطبيق الديمقراطية بإعلان وتطبيق مبادئ الثورة الخمسة وهي:

..... القضاء على الاستعمار وأعدائه.....

.....القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم.

..... إقامة جيش قوي.

.....إقامة عدالة اجتماعية.

إذن فقد تطهر وطننا كاملا، استعدادا لبدئنا حياة ديمقراطية سليمة، واستعدادا لبدئنا عهدا جديدا من
عهود الحرية الحقيقية.

ولكننا لا نفهم الديمقراطية على إنها مجلس شيوخ ومجلس نواب يجتمعان في القاهرة وملك وزارة
حزبية.

نحن نؤمن بأن الديمقراطية هي أن يكون لكل فرد منا في هذا الوطن... للفلاح وللعامل
وللموظف وللطالب. لكل إنسان متعلم وغير متعلم الحق الكامل في أن يبدي رأيه في حرية
وصراحة، ولا يخشى من إبداء رأيه في هذا البلد.

نحن نؤمن بأن الديمقراطية الحقيقية هي أن يسمح لكل مواطن مهما كان وضعه الاجتماعي بأن
يعبر عما يحس به في حرية.

في الماضي، هل كانت الديمقراطية حقيقية؟ في الماضي هل كان الفلاح يستطيع أن يدلي بصوته
في الانتخابات حرا كما يريد...؟!!

كلنا نعلم أن هذا كان مستحيلا.. فالفلاح كان مهددا، لأن صاحب الأرض كان يملك الأرض،
ويملك الفلاح أيضا، من أجل ذلك حين بدأت الثورة أصدرت قانون الإصلاح الزراعي كي يتحرر
الفلاح ولكي تنتهي إلى الأبد سلطة أولئك الإقطاعيين.

نحن نفهم الديمقراطية على أن كل فرد في هذا الوطن يستطيع أن يعبر عن رأيه بصراحة. وأن ينتقد أيضا في حرية من غير أن يخشى أحدا.....

لا يخشى حاكما ولا يخشى إقطاعيا ولا يخشى رأسماليا ولا يخاف التهديد في رزقه أو معاشه أو ابنائه.....

هذه هي الديمقراطية الحقيقية التي أرادت الثورة للشعب والتي أرادها الشعب لنفسه... الشعب الذي ثار في 23 يوليو للقضاء على نظام حكم متعفن فاسد.

ومن أجل ذلك لم تسارع الثورة إلى إنشاء مجلس شيوخ ومجلس نواب. ولم تهتم الثورة بأن تنشئ هذه المجالس في الخطوات الأولى من هذه الثورة، لأن الأهم من إنشاء هذه المجالس هو تخليص الشعب من كل ما يعوق تقدمه ومن كل ما يمنع حريته...

الديمقراطية الحقيقية هي أن يكون لكل مواطن الحق في إبداء رأيه في حكمه وفي مراقبتهم ومحاسبتهم.

الديمقراطية النزيهة هي في أن نصل إلى مرتبة جديدة وإلى وضع جديد لا يستطيع فيه الحاكم أن يستغلنا من جديد أو أن نعود بنا إلى الوراثة. كما كانت تفعل بنا الحزبية والملك والإقطاع والاستعمار في الماضي.

هذا هو مفهوم الثورة للديمقراطية السليمة.

ما بعد فترة الانتقال

وبانتهاء فترة الانتقال أصبح علينا أن نختار لأنفسنا نظام الحكم المستقر، الذي نضع فيه أسس حكم يبقى. وحكم يحافظ على ما وصلنا إليه من انتصارات ومن مكانة، ويحافظ أيضا مستقبلنا ومستقبل وأحفادنا من بعدنا.

ولم يكن مستطاعا بعد أن انتهت فترة الانتقال أن تبقى جميع السلطات مركزة في مجلس الثورة، وأصبح الأمر يحتم أن يتولى الشعب كله مسئولية الحكم.

الحكم للشعب.

وجاءت فترة وضع دستور للبلاد، وكان علينا أن نضع في هذا الدستور الطريقة التي يستطيع بها الشعب أن يعبر عن رأيه وأن يشترك في حكم بلده.....

لقد قامت هذه الثورة باسم الشعب وبارادة الشعب... وانتصرت هذه الثورة في كل ما مر بها من معارك.... لأن الشعب يدافع، ولأن الشعب يؤمن تمام الإيمان بكل عمل وبكل هدف هدفت إليه قيادة هذه الثورة. قامت هذه الثورة لكي تحقق للشعب حكما فعليا يشترك فيها هذا الشعب ويشرف على حكامه ويقول للمساء أساءت ويقول للمحسن أحسنت.... هذا هو الطريق الذي اختارته الثورة. لأنه أمل في قلوبنا جميعا نحن أبناء هذا الشعب طوال القرون الماضية.

لقد كان حكامنا يتولون أمرنا ويتحكمون فينا ويسيرونا أمورنا حسبما يريدون. أما اليوم وبد قيام الثورة فإن الذي يسير أمورنا والذي يسيطر على مصيرنا والذي يتولى تصريف كل أمر من أمورنا لا بد أن يكون هو الشعب.

ولكن. كيف تكون الصورة؟!.. كيف يستطيع الناس أن يمارسوا حقوقهم السياسية...؟! في خلال سنوات فترة الانتقال كان مجلس قيادة الثورة يتولى باسم الشعب تنفيذ مطالب الشعب.... والشعب كله يقف من خلف هذه القيادة رجلا واحدا، وإرادة واحدة، وكانت هناك ثقة متبادلة بين الشعب وقيادته وبين القيادة وبين هذا الشعب.

ومن أجل ذلك أمكن في خلال سنوات الانتقال أن نحقق ما وصلنا إلى تحقيقه من انتصارات.

كيف يحكم الشعب

كيف نستطيع أن نفتح للشعب الباب على مصراعيه لكي يتولى مراقبة حكامه ولكي يتولى محاسبة حكامه، ولكي يتولى الإشراف على كل صغيرة وكبيرة في أموره، سواء أكان ذلك في الداخل أم في الخارج.

كان علينا أن نضع الأسس لذلك في الدستور. ومن تناولنا هذا الأمر بالدراسة والتفكير، كان علينا أن نوازن بين أمرين اثنين: إما أن نسمح بقيام الأحزاب فترة أخرى حتى يستطيع أن يحكم نفسه بنفسه، بمعنى أن تكون لهذه الأحزاب تكتلات في الشعب وتكون لهذه الأحزاب الفرصة إلى المجيء إلى الحكم وتحقيق البرامج التي تضعها. وإما أن نسمح بقيام حزب واحد لكي ينضم إليه الشعب... ومن خلال هذا الحزب الواحد يستطيع الشعب أن يمارس حقه الطبيعي في كونه مصدر السلطات في البلد....

نظام الحزب الواحد

ذلك أن النظم الموجودة في الكتب تقول: إن البلاد تحكم إما بحزب واحد أو بعدة أحزاب.....

فهل يا ترى تشكل حزبا واحدا ونسميه حزب الثورة ونضم إليه بعض الناس، والذين ينضمون للحزب يشتركون في الحكم ونقول إن هذا الحزب يمثل الشعب.

أن نظام الحزب الواحد نظام موجود في العالم ومعترف به وكان موجودا في ألمانيا أيام هتلر وفي إيطاليا أيام موسوليني وفي تركيا أيام كمال أتاتورك ولكننا عرفنا أنه عبارة عن نظام يهيء السيطرة لفرد واحد لكي يحكم ويملي إرادته على بقية أفراد الشعب....

دكتاتورية الحزب الواحد

ونحن حين فكرنا في نظام الحزب الواحد اتضح لنا أن نظام الحزب الواحد يعني الدكتاتورية يعني فردا ومعه إناس يفرضون إرادتهم على بقية الشعب كله. يعني رئيس الحزب ومجلس إدارة الحزب الذين يصبحون حكام البلد، ولا يستطيع إنسان أن يناقشهم في شيء. وإذا انضم لهم أفراد من الشعب يصبح الذين ينضمون إليهم ملوكا في هذا الشعب. وبقية الشعب ينعزل عنهم وعليه أن يعمل ويطيع أوامرهم وهذا النظام لا يصلح لنا لأننا رفضنا الطغيان، نحن نذكر عبر التاريخ في تاريخنا كله أننا رفضنا الطغيان التركي أيام أن كان الأتراك يحكموننا، وأرادوا أن يضيعوا قوميتنا فلم يستطيعوا. ورفضنا طغيان الفرنسيين حينما أغار علينا الفرنسيون وقاومناهم وحاربناهم، ورفضنا طغيان الإنجليز وثرنا ثورات متتالية إلى أن تم الجلاء، ورفضنا طغيان الإنجليز وثرنا ثورات متتالية إلى أن تم الجلاء، ورفضنا طغيان الوصوليين الذين كانوا يشكلون الأحزاب ويستغلون الشعب في الحكم وفي الوزارة. ورفضنا طغيانهم أسقطناهم جميعا. فكيف يبقى الطغيان بعد الثورة بعد أن رفضناه في مرة أخرى ونجعل ناسا يتحكمون في مصيره. كل تاريخنا نأتي فنستغل الشعب مرة أخرى ونجعل ناسا يتحكمون في مصيره.

هذا النظام نظام الدكتاتورية لا يصلح لنا. ونحن شعب طيب دائما....

ولكن إلى جانب أننا شعب طيب فنحن أيضا شعب نرفض تحكم أحد فينا ونرفض سيطرة أحد فينا حتى ولو كان هذا التحكم والسيطرة لمصلحتنا، نرفض أن يفرض علينا أي إنسان سيطرته مهما كان هذا الإنسان ومهما كان كيانه ومهما كانت قوته.

نظام الحزب الواحد لا يصلح لنا

نظام الحزب الواحد لا يصلح لنا لأنه لن يمثل هذا الشعب. نحن نريد أن يشترك الشعب كله في حكم نفسه في المرحلة الجديدة.. لا نريد جزءا يشترك في الحزب والمسئولية وبقية الشعب لا تشترك لأن الشعب كله هو الذي انتصر في كل معارك الثورة، هو الذي حقق كل الانتصارات. والشعب بأكمله بطبقاته.. بفلاحية، بعماله، بالطلبة وبالمتعلمين وغير المتعلمين، شعبنا كله هو الذي انتصر في المعارك التي مضت. وشعبنا كله هو الذي ضرب المثل وحافظ على القومية العربية وفتح أمامها الطريق.

لن نكون آلة صماء

ونظام الحزب الواحد يجعل من الشعب آلة صماء... تسمع الأوامر وتطيع فقط ولكننا لا نريد لشعبنا أن يكون آلة صماء. نحن نريد لشعبنا أن يشترك في تدبير أمر نفسه، أن يتحمل مسئولية حكم نفسه.

أن يشترك مع حكاه في تسيير كل شيء يخصه ويخص أبناءه ويخص أحفاده ويخص الأجيال المقبلة. قامت هذه الثورة لأنه كان هناك تحكم وطغيان من الملك ومن الأحزاب فكيف نأتي اليوم ونفرض طغيانا جديدا باسم الحزب الواحد، مهما كان أولئك الزعماء أو أولئك الأفراد أو ذلك الفرد الذي سيحكم هذا الحزب الواحد....

إذن فتنظيم الحزب الواحد لا يصلح لنا ولا نصلح له لأنه يعني تحكم فرد أو هيئة في الشعب كله. ونحن نرفض أن يتحكم فينا أي فرد أو أية هيئة. نحن رفضنا هذا ونحن غير مستعدين ونحن غير مستعدين أن نقبله مرة ثانية...

نظام تعدد الأحزاب

النظام الثاني معناه قيام عدة أحزاب... ويضم كل حزب طبقة أو فئة معينة من طبقات وفئات الشعب، وتتبادل هذه الأحزاب السلطة والحكم.

فهل يصلح لنا هذا النظام.

عندما ناقشنا هذه الفكرة تذكرنا ما كانت عليه الأحزاب في الماضي.

ماذا كانت تفعله الأحزاب في الماضي!؟

إذا استعدنا ذاكرتنا فإننا نستطيع أن نعرف هل يصلح لنا هذا النظام اليوم أم لا يصلح.

الولاء لولي النعم

كانت الأحزاب في الماضي كما ذكرنا عبارة عن هيئات تمثل نفسها فقط. وكانت هذه الأحزاب تتشائم مع بعضها البعض وكل حزب يتهم الآخر بأبشع الاتهامات وكان رجال الأحزاب جميعا عند فاروق يركعون ويقبلون يديه ويظهرون الولاء والإخلاص... لماذا؟! لأن فاروق كان هو الذي يمنح الحكم وهو الذي يمنع الحكم. فاروق كانوا يسمونه ولي النعمة. لم يجرؤ أي حزب أو أي زعيم على أن يواجه الملك السابق بالمفاسد والخيانات التي كان يأتيها ذلك الملك، بل كانت جميع الأحزاب تتسابق لكي ترضي الملك.

التآمر في سبيل الحكم

والأدهى من ذلك. أن الحزب يتولى الحكم كان يتآمر مع الملك أو مع الإنجليز لكي يصل إلى الحكم... وفي وسط هذه المؤامرات كانت مصالحنا نحن الشعب تضيع لأن هدف الزعيم أو هدف الحزب هو أن يصل إلى الحكم من أقصر طريق. لذلك ظلت إنجلترا تحتل مصر 74 سنة لأنها كانت تستطيع في كل لحظة أن تتآمر مع أي حزب ضد الحزب الآخر.

ومع أي زعيم ضد الزعيم الآخر .. وهم كلهم ولاء وإخلاص للإنجليز وللملك السابق...

لا شرف ولا كرامة ولا مراعاة لمصالح الشعب.

هذا ما كان يحصل أيام الأحزاب.... الأحزاب تتشائم وتتبادل والتهم.

وكل حزب يحاول أن يصل للحكم بأي طريق وبأي وسيلة وبغض النظر عن مصالح الشعب. وبغض النظر أيضا عن الشرف وعن الكرامة.. لذلك كنا في الماضي حين كانت إنجلترا تريد أن تنفذ أمرا في بلدنا كان يكفي جدا أن وزارة الخارجية الإنجليزية ترسل إنذار لمصر أو تقول أن مركبا حربية قامت من مالطة في طريقها إلى الإسكندرية... كان يكفي جدا أن تقول إنجلترا ذلك لكي تستقيل الوزارة ويحل البرلمان ويفتش الملك عن زعيم آخر يرضي الإنجليز....

أما اليوم فما الذي حدث، إنجلترا أرسلت فعلا الأساطيل على بورسعيد، وضربت بورسعيد والقاهرة وطنطا بالقنابل، وبعثت بالإنذارات وهجمت بالأساطيل والدبابات وأنزلت جنودها هي وفرنسا في بورسعيد.... واستطاع شعبنا فعلا أن ينتصر وأن يرد إنجلترا وفرنسا مهزومتين....

واستطاع شعبنا أكثر من ذلك أن يحقق أكبر انتصار... كان جمال عبد الناصر زعيم هذا البلد يقف حازما قويا باسم الشعب ومن ورائه الشعب كله. وانهارت أعصاب رئيس وزراء إنجلترا ، وخرج من الحكم غير مأسوف عليه.

فإذا جئنا اليوم وقلنا أن نظام تعدد الأحزاب هو الذي سيسمح للشعب بأن يشرف على الحكم، ويحكم نفسه بنفسه فنحن نغالط أنفسنا لأننا جربنا التجربة القديمة. ولن نعود إليها أبدا.. لقد وصلنا اليوم إلى مرحلة أكبر... وصلنا إلى المرحلة التي ننتصر فيها على أكبر قوى موجودة في العالم ونحن دولة صغيرة عزلاء، لا نملك سلاحا ولا عتادا مثلهم. ولكننا ننتصر رغم ذلك.

وصلنا إلى هذا لأننا متحدون، ولأن كلمتنا واحدة وإرادتنا واحدة وزعيمنا واحد.

الأحزاب شلة منتفعين

وماذا كانت تفعله الأحزاب أيضا..؟! لقد كان كل حزب عبارة عن شلة من المنتفعين لا تحس بإحساس الشعب ولا تشعر بمطالب الشعب. وكانت الوزارة عبارة عن جاه وسلطان وحجاب... لم تكن الأحزاب تعرف أن تعداد السكان في مصر يزيد بمعدل نصف مليون كل سنة وإنهم في حاجة للمستشفيات ولرغيف العيش... كانت الوزارة جاها ومنصبا وحكما، ولم تكن تحس بالمسئولية أمام الشعب.....

الأحزاب سبب الانقسام

عرفنا إذن كيف قاسى الشعب وكيف وصل الحال بنا إلى ما انحدرنا إليه من انقسام وفساد، ومن مظالم ورشوة ومحسوبية وكل ما أصابنا قبل قيام الثورة، فهل يا ترى نأتي بعد انتهاء فترة الانتقال ونملأ الفراغ السياسي ونجعل الناس يمارسون سلطاتهم عن طريق تشكيل أحزاب جديدة.

...

إن الذي سيحدث إذا سمح بقيام أحزاب أننا سنعود إلى الوراثة... وقطعا سنعود إلى الوراثة.. نعود إلى الخلافات الشخصية، نعود الخلافات الشخصية بين كل حزب والآخر. نعود المسألة خلافا على المراكز، خلافا على الحكم، خلافا على المنصب. نعود الأمور كما كانت وبذلك لا نستطيع أن نتحمل المسئوليات الملقاة على أكتفانا، ولا يستطيع الشعب أن يمارس سلطاته وإنما الذي سيمارس السلطات هو كل مجلس إدارة الحزب، تماما كما كان الحال أيام الأحزاب القديمة... إنها باسم الشعب تتولى الحكم ولكنها لا تفعل شيئا لصالح هذا الشعب ولا تسمح لهذا الشعب بأن يعبر عن رغباته الحقيقية، وعلى ذلك قلنا أن تعدد الأحزاب نظام لا يصلح لنا. لأن هذا

النظام أيضا لا يحقق الهدف الذي نهدف إليه وهو أن يمارس الشعب سلطاته.. أن يمارس كل فرد من أفراد هذا الشعب سلطاته الفعلية ويتاح فعلا للشعب أن يرفع صوته وأن يكون له الأمر في تقرير مصيره

نحن أكبر من هذا النظام

إن نظام تعدد الأحزاب لا يصلح لنا.. ونحن أكبر منه. ومسئولياتنا اليوم أكبر بكثير من مسئولياتنا في الماضي. أيام أن كنا شعبا مضغوطا عليه وشعبا مقيدا من الملك، ومن الاستعمار ومن كل الأوضاع الفاسدة التي كانت تفرض علينا فرضا.....

إن ما الذي نعمله.. ماذا نريد؟!

قلنا أنه بعد فترة الانتقال أي بعد انتهاء السنوات الثلاث كان علينا أن نضع الدستور لكي تعود الأوضاع السياسية الطبيعية إلى البلد.

لماذا خلال فترة الانتقال كانت الأوضاع غير طبيعية... لقد كان مجلس الثورة هو عبارة عن الحكومة وهو بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر يتخذ القرارات والشعب من خلف مجلس الثورة لأنه يثق فيه، ولأنه يرى أن مجلس الثورة يحقق فعلا كل الأهداف التي يريدها الشعب. فهو قد صادر أرض العائلة المالكة ليوزع الأرض على الفلاحين.. وفاوض الإنجليز حتى خرجوا من بلادنا.....

كان مجلس الثورة يتولى السلطة فعلا باسم الشعب كان مجلس الثورة يقوم بكل هذا والشعب وراءه. لكن لم يكن هناك تنظيم يصل بين مجلس الثورة وبين الشعب.

الشعب كان يؤمن ويثق في مجلس الثورة يثق ويؤمن بالشعب. ويعرف أهداف الشعب وينفذ هذه الأهداف.

وكان لا يمكن أن يظل نظام الحكم الذي تحكم به بلدنا... وهو أن تركز السلطات كلها في يد مجلس قيادة الثورة... وإن يبقى الشعب مؤيدا فقط... وإنما الوضع الطبيعي الذي انتزعناه بكفاحنا جميعا.... هو أننا استرددنا أرضنا.. واسترددنا حريتنا. فعندما تعود الأوضاع الطبيعية ونضع الدستور. لابد أن تكون هذه الأوضاع بحيث يستطيع الشعب فعلا أن يشترك في حكم نفسه وفي تقرير مصيره.....

ثورتنا حققت لنا أهدافها الأولى في مرحلتها الأولى.

يجب أن يتحمل الشعب المسؤولية في الحكم

واليوم تطلب الثورة منا نحن الشعب أن نتحمل المسؤولية ... وأن نشترك اشتراكا فعليا في تقرير مصيرنا وفي إدارة أمورنا. وفي كل ما يتعلق بحياتنا.....

اليوم لا سيد علينا إلا أنفسنا. اليوم نحن وصلنا إلى مرحلة من مراحل الثورة يجب علينا فيها كشعب أن نجتمع لكي نحمل المسؤولية كما قال الرئيس جمال ونكون مجلس الثورة الجديد، نحن مطالبون كشعب أن نحمل المسؤولية كاملة إلى جوار زعيمنا جمال لكي نستطيع أن نمضي في طريقنا وأن نحافظ على ما وصلنا إليه من انتصارات وأن نحقق بعون الله انتصارات جديدة في المستقبل.

اليوم يريد جمال منا جميعا... من الشعب الذي اشترك في كل هذه المعارك والذي انتصر في كل هذه المعارك.... الشعب الذي وقف من خلف جمال وقفة رجل واحد وإرادة رجل واحد، اليوم يريد جمال أن يعيد الأمانة إلى الشعب كاملة... إن أمانة الحكم اليوم يريد جمال أن يسلمها لنا كاملة.... يريد منا أن نشترك معه اشتراكيا فعليا في الحكم وفي تقرير مصير بلدنا وفي بناء بلدنا وفي دفع العدوان عن بلدنا وفي كل ما يخصنا من أمور. فبلدنا ملكنا اليوم.. ونحن أسياد مصيرنا. لا سيد علينا أبدا ولن نسمح لأي قوة أن تعود إلى أرضنا أو أن تتحكم فينا. وإنما نحن أحرار في بلادنا.

لذلك يريد جمال أن يشترك في هذه المرحلة كما اشتركنا من قبل في المعارك التي خضناها، فانتصرنا به وانتصر بنا... ويريد جمال أن يعيد أمانة المسؤولية إلينا، فقد حملها جمال طوال فترة الانتقال...

جمال لن يستطيع أن يحقق كل ما يريد لبلدنا وكل ما يريد لنا وكل ما نريده منه، إلا إذا وضعنا أيدينا في يديه كشعب حتى نستطيع نحن الشعب أن نمارس حقنا وأن نساعد جمالا في هذه المسؤولية.

..... وأن يفرض الشعب رقابته على حكامه

نحن نريد اليوم أن نضع نظام الحكم الذي يشترك فيه الشعب اشتراكا كاملا في المسؤولية مع زعيمه.

ويراقب الشعب حكامه.. ويفرض فيه الشعب رقابته على حكامه.....

لأنه من غير هذا لا يمكن أن يتم الإصلاح لابد أن يشترك الشعب في الرقابة الفعلية على حكامه، ولا بد أن يساعد الشعب زعيمه في كل ما يعرض من أمور. لا بد أن يأخذ الشعب بيد جمال ويضعها على الخطأ ويقول له:

وقع هنا خطأ أصلحه.

كيف يستطيع الرئيس جمال أن يعرف الأخطاء التي تقع في كل مكان.

هل يعرفها عن طريق الحكومة؟ صعب جدا. ولكن عن طريق الشعب يستطيع الرئيس جمال أن يضع يده على الخطأ في كل مكان.. لماذا؟! لأن الشعب هو الذي يحكم.

" الشعب هو الذي يستطيع أن يفعل هذا. والشعب هو الذي يستطيع أن يساهم ويقضي على كل أخطاء البعض منا.. ويجب أن نعترف أن هناك أخطاء كثيرة موجودة. والذي يستطيع أن يصلح هذه الأخطاء.. والذي يستطيع أن يضع يد القائد والزعيم جمال على هذه الأخطاء لكي يصلحها هو الشعب"... الحكومة وحدها لا تستطيع ذلك. وإنما الشعب يستطيع فعلا أن يرشد عن كل خطأ... ويرشد عن كل فساد موجود. وبذلك يتحقق المبدأ الاساسي وهو أن الشعب ينحي المسيء ويبقى الرجل الذي يحسن عمله وبذلك تتحقق المعاني التي قامت من اجلها الثورة... معاني الحرية..... معنى سيادة الشعب على كل أموره. وسيادة الشعب على مصيره.

كيف يتحقق ذلك؟

كيف يمكن للشعب إذن أن يصل إلى أن يحكم نفسه بنفسه، وأن يشترك في تقرير مصيره، ويفرض إرادته على حكامه؟!.

لقد قلت من قبل أن نظام تعدد الأحزاب ونظام الحزب الواحد لا يصلحان شكلا للحكم في بلدنا.

وإذن كان لابد من البحث عن تنظيم جديد يحقق هذه المعاني السابقة ولقد فكرت الثورة طويلا في هذا الأمر.

عادت إلى بلدنا، وإلى تاريخنا، وإلى شعبنا، لكي تصل إلى شكل الحكم الذي يتمشى مع حاجات الشعب ومع ما وصل إليه من انتصارات إلى يومنا هذا من ثورتنا.

عادت الثورة إلى التاريخ القريب منذ سنة 1952 من وقت أن قامت الثورة.

ولقد وجدت الحل السليم. وجدت الأمثلة من داخل أرضنا ومن بلدنا. وجدت المفتاح من معاركنا التي خضناها جميعا وانتصرنا فيها جميعا. فمنذ أن قامت الثورة في يوليو 1952، دخلنا معارك

كثيرة. دخلناها كشعب، بجميع طوائفنا، وبجميع هيئاتنا. دخلنا هذه المعارك واستطعنا أن نحقق الانتصار تلو الانتصار.

معركة الثورة

نحن نذكر أن الثورة قامت في يوليو 1952 وكلنا يذكر كيف كانت مصر تحكم قبل الثورة ولقد كان المتفائل جدا في بلدنا يقول إن أمام الثورة للقضاء على الأوضاع الفاسدة في بلدنا عشرات السنين حتى يمكن التغلب على الملك وعلى الأجهزة الضخمة التي تعاونه من بوليس سياسي، إلى مخابرات إنجليزية ومخابرات أمريكية. لم يكن أحد يصدق أبدا أن الثورة ستقوم في يوليو 1952 وإن كل هذه الأجهزة ستنتهي بالسرعة التي انتهت بها. ومع ذلك فقد قامت الثورة في يوليو 1952 ولم تمضي ثلاثة أيام على بدء الثورة حتى كان الملك مطردوا خارج هذه البلاد. وفي نفس الوقت كان البوليس السياسي قد انتهى وكانت المخابرات الإنجليزية عاجزة عن ضرب الثورة الوليدة. وأصبح كل من في هذا البلد يحس إحساسا أكيدا أن الثورة قد نجحت ... لماذا؟! لأن الجيش قام بها... لقد نجحت هذه الثورة منذ أول لحظة لقيامها، منذ صباح 23 يوليو، كان الملك والإنجليز والأمريكان وكل إنسان على ظهر هذه الأرض يحس أن 23 مليوناً من البشر يقفون من خلف هذه الثورة. وإن هذه الملايين مستعدة أن تضحي بحياتها لكي تنجح ثورتها.....

إن نجحت الثورة وتحطمت كل أجهزة الملك وأجهزة الاستعمار في ثلاثة أيام، لأن الشعب وقف من وراء الثورة. ولأن الشعب يؤيد الثورة.....

معركة حلف بغداد

ونحن من معاركنا التي خضناها ضد الاستعمار، معركة حلف بغداد. نذكر يوم وقف المستر أيدن في مجلس العموم البريطاني في يوم 4 أبريل 1954 يقول ما نصه "إن حلف بغداد يمكننا من تدعيم نفوذنا في الشرق الأوسط ويجعل لنا القدرة على أن نرفع صوتنا عالميا في كل مشاكله".

أي أن حلف بغداد يمكن لبريطانيا من السيطرة على الشرق الأوسط.

وانضمت أمريكا أيضا إلى هذه المؤامرة وأرادت أن تجعل من حلف بغداد في يناير 1955 ووجدت أن بلادنا تقاومه بشراسة وضراوة... ذهلت أمريكا عندما أعلن قيام حلف بغداد في يناير 1955 ووجدت أن بلادنا تقاومه بشراسة وضراوة..... ذهلت لأنها كانت تعتقد أنها تستطيع أن تشتري كل شيء بالدولار حتى الشرف والكرامة كما تفعل في بعض البلاد الأخرى. ولم

يخطر في بال أمريكا أبدا والكرامة كما تفعل في بعض البلاد الأخرى. ولم يخطر في بال أمريكا أبدا أننا هنا شعب يؤمن بالله وبالقيم السماوية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى علينا في الإنجيل والقرآن. نؤمن بأرضنا، ونؤمن بسمائنا، ونؤمن بشعبنا، ونؤمن باستقلالنا وبحريتنا، وأن ذهب العالم كله لا يستطيع أن يشتري القيم التي نؤمن بها أبدا وظلت بريطانيا وأمريكا طوال السنوات فيما بعد نحن سنة 1955 تحاولان ضم الشعوب العربية إلى ذلك الحلف المشنوم، وظللنا نحن باسم شعبنا وإرادة نقاوم حلف بغداد. لأننا نؤمن أن هذا الحلف إنما يقيم لخدمة أهداف الاستعمار ولتوطيد كلمة الاستعمار - كما قال المستر أيدن، في منطقتنا هذه قاومنا حلف بغداد لأننا لا نبيع كرامتنا ولا نبيع شرفنا ولا نبيع استقلالنا ولا نسلم أمرنا لغيرنا.

قاومنا حلف بغداد وانتصرنا لأن هذا الشعب كان كله إرادة واحدة وتصميما واحدا على ألا يكون منطقة نفوذ لبريطانيا أو لأمريكا أو لأية دولة أخرى.

معركة السلاح

ثم دخلنا بعد ذلك معركة أخرى. هي معركة السلاح طلبنا من إنجلترا وأمريكا أن تبيعا لنا السلاح بحر مالنا، حتى نستطيع أن ندافع عن أنفسنا به. ورفضت إنجلترا ورفضت أمريكا أن يبيعا لنا السلاح إلا بثمن كرامتنا واستقلالنا. بل أكثر من هذا، دفعا إسرائيل للعدوان علينا بغارتها الشهيرة على غزة يوم 28 فبراير 1955 وكان غرض إنجلترا وأمريكا من هذا العدوان الإسرائيلي الغادر هو اثبات أننا لا نستطيع الدفاع عن أنفسنا وأنه لا بد لنا من الألتجاء إليهما للدفاع عنا ضد إسرائيل، ونسيت إنجلترا وأمريكا أن هذا العدوان المدير لإذلالنا لم يعد يخفينا. كان الملك والزعماء والباشوات في الماضي يخافون من التهديد والإنذار البريطاني أما نحن اليوم فلم نعد نخاف لأننا أصحاب الأرض: الأرض أرضنا والبلد بلدنا وإننا مستعدون في كل لحظة للدفاع والموت في سبيل هذه الأرض وفي سبيل هذا البلد.....

ولهذا استرينا السلاح من روسيا رغم إرادة إنجلترا وأمريكا. اشترينا السلاح من روسيا دون قيد أو شرط. اشترينا السلاح وكرامتنا وعزتنا شيوعيين وإننا نمهد للشيوعية في بلادنا بقصد إثارة العالم كله ضدنا... وبرغم ذلك صمدنا، ووصل السلاح إلى أرضنا، سلاح من أحدث أنواع الأسلحة وصل إلى جيشنا. وأصبحنا أقوىاء.... وأملينا أرادتنا على الدول الكبرى التي ركبها الغرور واعتقدت أنه ليس هناك أحد يستطيع أن يقف أمامها أو يعصي أمرها.....

وانتصرنا في معركة السلاح، لأننا كنا جميعا نؤمن بأننا على حق. كنا جميعا فلاحين وعمالا وطلبة وموظفين مؤمنين بالخطوة التي أقدم عليها جمال عبد الناصر. وكنا جميعا نقف على أتم الاستعداد للتضحية بكل شيء من خلف جمال عبد الناصر، لأن المسألة عزتنا وكرامتنا... هي مسألة هل نخضع للإذلال الإنجليزي والأمريكي؟ أم نتمسك بعزتنا؟
وتمسكنا بكرامتنا وعزتنا، وانتصرنا.....

معركة التأميم

ولقد انتصرنا بعد ذلك في معركة تأميم القناة... وكلنا نذكر تفاصيل تلك المعركة. كلنا نذكر المستر دالاس وزير خارجية أمريكا خرج على العالم في 29 يوليو سنة 1956 ببيانه المشهور عن سحب العرض الأمريكي لتمويل مشروع السد العالي. وسحب تمويل السد العالي في ذات ليس عليه اعتراض. ولكن المستر دالاس لم يكتف بسحب المعونة، بل أضاف قائلاً في بيانه أن مصر بلد مفلسة وأنه ليس هناك شيء بين أمريكا ومصر، أو ما معناه أن عليكم أيها المصريون أن تتخلصوا من جمال عبد الناصر ونحن على أتم الاستعداد لكي نبني لكم السد العالي، ولكي نمحكم كل المعونات التي تطلبونها. وهكذا أخطأ المستر دالاس أعتقد أنه سيرغم شعب مصر على الركوع أمامه. أخطأ المستر دالاس حينما توهم أنه يستطيع أن يفرض سيطرته على مصر، وأن شعب مصر سيثور ويسقط جمال عبد الناصر ويقضي على الثورة وينفذ أحلام المستر دالاس.

نسى المستر دالاس أننا شعب يعتبر الكرامة والعزة أعلى من السد العالي وأعلى من ذهب أمريكا ودولاراتها. نسى المستر دالاس أنه لا يستطيع أن يذلنا أو يسيطر علينا وأننا شعب لا نبيع كرامتنا بل نموت جوعاً ولكن نموت إشرافاً ولا نذل أنفسنا أبداً. تعلمنا هذه القيم من بلدنا، من أرضنا التي نعيش عليها ومن الأديان السماوية التي نزلت علينا.....

وجلس المستر دالاس في واشنطن ينتظر نتيجة الضربة التي وجهها إلى ثورة مصر..... ولكن لم يمضي أسبوع واحد على سحب تمويل السد العالي إلا كان دالاس يتلقى صفة قاسية على وجهه بإعلان الرئيس جمال عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس في مساء 26 يوليو سنة 1956.

وبدلاً من أن نقترض 70 مليوناً من الجنيهات، أصبح لدينا إيرادات ثابتة من دخل القناة قدره 40 مليوناً من الجنيهات سنوياً.

وكانت ضربة تأميم قناة السويس تحديا لعنيا وأمريكا وإنجلترا وفرنسا. تحديا لكل قوى الغرب التي صنعت حلف الأطنطي، وتملك الطائرات والدبابات والأساطيل والنفاثات.

وكلنا نتذكر كيف تعرضت مصر بعد تأميم القناة لحملة ظالمة من التآمر والضغط والتهديد من واشنطن ولندن وباريس.

ولكننا صمدنا وانتصرنا في هذه المعركة أيضا.

فما الذي كان يملكه جمال عبد الناصر لكي يتحدى كل هذه القوى.

ومن الذي كان يقف خلف جمال عبد الناصر في هذه المعركة؟. وما هي قوة جمال عبد الناصر.....؟

كان جمال عبد الناصر يملك تصميم 23 مليون مصري على الكرامة والحرية.....

كان جمال عبد الناصر هو يؤمم قناة السويس يعمل باسم الشعب ويتكلم بإرادة 23 مليوننا من المصريين، وقوته هي قوة 23 مليون مصري، لأن الـ 23 مليون مصري كانوا يقفون من خلف جمال عبد الناصر في هذه الخطوة.

وهكذا أمنا القناة وانتصرنا.

معركة العدوان

وبعد ذلك دخلنا معركة العدوان الثلاثي على مصر ونحن نذكر أنه في الماضي كانت إنجلترا إذا أرادت أن تنفذ رغبة لها في مصر، ترسل إنذار للحكومة. وكلنا يعلم أنه في سنة 1930 أرسلت إنجلترا إنذار إلى الملك تقول فيه: إن بارجة قد قامت من مالطة في طريقها إلى الإسكندرية. وكان يكفي جدا أن يصدر مثل هذا الإنذار حتى تقال الحكومة، ويحل البرلمان، ويبحث الملك عن رئيس وزارة جديد ترضى عنه إنجلترا. هذا ما كان يحصل في الماضي قبل قيام الثورة.

وفي هذه المرة لم ترسل إنجلترا إنذار فحسب، بل هجمت هي وفرنسا وإسرائيل بأساطيلهم وطائراتهم ودباباتهم. عملية هجوم كامل جنودا لها كل ما يملكون من أساطيل في البحر الأبيض المتوسط حتى أساطيل حلف الأطنطي وأسلحة حلف الأطنطي التي كانت مجهزة للهجوم بها على روسيا هجموا بها على مصر وانزلوا جنودهم في بورسعيد يوم 5 نوفمبر سنة 1956 .

فماذا كانت النتيجة.....؟ نحن نذكر أنه في الحرب العالمية الأخيرة استسلمت فرنسا لجيوش هتلر بعد 15 يوما من الهجوم عليها. ومع ذلك فإن أساطيل إنجلترا وفرنسا وحلف الأطلسي هاجمت مدينة صغيرة في مصر هي بورسعيد أكثر من 40 يوما ولم تسلم بورسعيد.

هذا درس كبير... هل كانت بورسعيد وحدها في المعركة.....؟ أبدا بورسعيد لم تكن وحدها. كنا جميعا معها في المعركة. كل بلد في مصر، وكل بلد في إقليمنا الشمالي سورية الحبيبة أيضا كانت إلى جانب بورسعيد بل كل بلد عربي كان يخوض معركتنا. وكنا جميعا في مصر نقف إرادة واحدة ورجلا واحد خلف جمال عبد الناصر مهما كانت النتيجة ولم نستسلم أبدا.

واستطعنا أن ننتصر لأن الإرادة التي انتصرت لم تكن إرادة فرد هو جمال عبد الناصر أو إرادة مجموعة هي مجلس الثورة. إنما الإرادة التي انتصرت هي إرادة الملايين. إرادة الشعب جميعا، كان هذا الشعب كله يؤمن بأنه لا بد أن ينتصر وهكذا انتصرنا.

دروس علمناها

فإذا جئنا اليوم نبحث عن الطريق الذي نستطيع به أن نجعل الشعب يمارس سلطاته، ويفرض رقابته على حكامه، ويكون مجلس ثورة حقيقي إلى جانب زعيمه جمال عبد الناصر، ويحقق انتصارات في المستقبل كالانتصارات التي حققها في السنوات الماضية. فعلىنا أن نذكر هذه المعارك. وهذه الانتصارات وهذه الدروس.

الدروس التي خرجنا بها من هذه المعارك تقول أننا قد انتصرنا في جميع المعارك التي خضناها، كما استعرضنا الحوادث - لأننا كنا جميعا نخوض المعركة تلو المعركة ونحن شعب واحد وإرادة واحدة، لم تكن عندنا أحزاب أو زعماء يتنافسون على الحكم. لم تكن بيننا هيئات تتناحر أو طبقات تدعى كل منها إنها أحق بحكم هذا البلد. لم يكن بيننا إطلاقا أي خلاف، وإنما نحن جميعا دخلنا معركتنا بإرادة واحدة، وأيضا بأهداف واحدة.

اتفقنا على الأهداف على أننا نتبع سياسة الحياد الإيجابي لا ننحاز للشرق ولا للغرب، اتفقنا على أن نعيش مع دول العالم في تعايش سلمي، أي نصادق من يصادقنا ونعادي من يعادينا. اتفقنا على أن نتمسك بقوميتنا العربية. ونحن متفقون أساسا على زعامة وقيادة جمال عبد الناصر لنا. ليست زعامات أخرى وليس ثمة صراع على الحكم.

إذن فإننا كانت واحدة. أهدافنا واحدة. زعيمنا واحد. ولهذا انتصرنا. ومن أجل هذا قامت فكرة الاتحاد القومي. من هنا نشأت فكرة الاتحاد القومي الذي يجمعنا جميعا كشعب في تنظيم واحد، وأهداف واحدة وإرادة واحدة وبقوة واحدة خلف زعيم واحد هو جمال عبد الناصر.

هذه هي نظرية الاتحاد القومي.

الاتحاد القومي

نظرية الاتحاد القومي إذن قامت على أساس معاركنا وخبرتنا بعد الثورة وعلمتنا أننا عندما نكون كتلة واحدة وإرادة واحدة وهدفا واحدا خلف زعيم واحد فإننا نحقق المعجزات فعلا.

هذه هي فكرة الاتحاد القومي. وهذا هو ما يريده الرئيس جمال عبد الناصر من الشعب اليوم. جمال عبد الناصر يريد من هذا الشعب- الذي حقق المعجزات في السبع سنوات الماضية- أن يتوحد في تنظيم واحد لكي يشترك معه من خلاله في حكم هذا البلد.

الاتحاد القومي إذن لابد أن يكون تنظيما يشملنا جميعا. بطل طبقاتنا، وبكل هيئاتنا وبكل طوائفنا، بكل من يعيش في هذا البلد لكي نقف خلف زعيمنا جمال عبد الناصر لتكلمة الشوط الذي بدأناه بعد قيام الثورة سنة 1952 وحققنا به وبإتحادنا وبوقفنا كل الانتصارات التي حصلت، ونحقق به إن شاء الله في المستقبل انتصارات جديدة.

الاتحاد القومي إذن هو نفس الاتحاد الذي عشناه أيام المعركة خلف بغداد ومعركة السلاح ومعركة تأميم القناة ومعركة العدوان بل أيام معاركنا الداخلية أيضا: الفرق الوحيد هو أن ننظم ووقفنا في هذه المعارك ونقيم منها لجانا تشترك في تسيير أمور بلدنا، ووضع مستقبلنا وبناء كياننا، ونشترك في الدفاع عن وطننا إذا ما تعرضنا لأي عدوان من الخارج.

الاتحاد ليس حزبا

وعلى ذلك فالإتحاد القومي لا يمكن أن يكون حزبا، لأنه لا يمثل طبقة بعينها من الطبقات. فمعنى الحزب هو أن فئة أو طبقة بذاتها تتحكم في باقي طبقات الشعب. ونحن في وضعنا الجديد الذي رسمناه لأنفسنا لا يمكن أن نسمح أن لطبقة أن تسيطر على باقي الطبقات.

اتحادنا القومي قائم على أساس آخر تماما. الاتحاد القومي قائم على أساس أننا جميعا كشعب بطبقاتنا وفئاتنا، المتعلم فينا وغير المتعلم، نجتمع جميعا لكي نشترك في بناء بلدنا وفي دفع العدوان على وطننا.

الاتحاد ملك للشعب

الاتحاد القومي ليس حزبا لأنه ملك للشعب بأسره. هو تنظيم لكل شعب.

لكل الكفايات ولكل من يستطيع وكل من يريد أن يساهم في بناء وتقديم بلده.

قد يقول قائل أن مجتمعنا مكون من طبقات. وأن هناك صراعا بين هذه الطبقات. ونحن نسلم بأنه ما دامت توجد طبقات فلا بد أن يوجد صراع ولكن علينا أن نتذكر أن أهدافنا القومية التي أجمعنا على الدفاع عنها كشعب بجميع طبقاتنا مهددة بالاستعمار مازال يتآمر على قوميتنا العربية وعلى حيادنا الإيجابي وحریتنا واستقلالنا وأن هذه هي الأهداف دافع عنها الشعب بكل طبقاته في المعارك التي خاضها منذ قيام الثورة حتى اليوم، وهي نفس الأهداف التي ستجمع الشعب أيضا بجميع طبقاته داخل تنظيم الاتحاد القومي لكي يدافع عنها.

الاتحاد ليس تنظيما حكوميا

وكما أن الاتحاد القومي ليس تنظيما حزبيا، فهو أيضا ليس تنظيما حكوميا.

ولا يمكن أبدا أن يكون تنظيما حكوميا وإلا أصبح عديم الفائدة وانتفى الغرض من وجوده. فالغرض من قيام هذا التنظيم هو الربط ما بين جمال عبد الناصر الذي اخترناه قائدا زعيما لنا، وبين الشعب برباط متين يعمل على رفع رغبات الشعب لجمال عبد الناصر في الحال لكي يعمل على تحقيقها، ويصدر من جمال عبد الناصر تفسير كل الأحداث التي تقع سواء أكانت داخلية أم خارجية وبذلك يستطيع الشعب أن يبدي رأيه في كل ما يهمه، ويصبح مصدر السلطات فعلا لا قولا كما كان يحصل في الماضي.

ختام

هذه الفكرة عن الاتحاد القومي، فعلينا أن نبني الاتحاد القومي بناء متينا.. من أجل مستقبلنا ومن أجل مستقبلنا ابنائنا. ومن أجل مستقبل أطفادنا أيضا من بعدنا... علينا أن نبني هذا البناء لكي تظل وحدتنا وحدة مقدسة. ولكي نستطيع أن نحقق في المستقبل إن شاء الله انتصارات كالانتصارات التي حققناها في الماضي ما دمنا مجتمعين وما دامت أراذلتنا واحدة وما دمنا متحدین. فإننا دائما سننتصر.

الاتحاد القومي

إن الاتحاد القومي أمر يهنا جميعا .. ولا بد أن نلتقي جميعا لكي نضع له الأسس والفلسفة ونضمن له القوة والبقاء.....

ولكن نفهم الظروف التي حتمت قيام الاتحاد القومي، لابد أن نعود سويا إلى تاريخ مضي.. منذ سبع سنوات... كنا في مدينة الإسكندرية يوم 26 يوليو 1952، وفي الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم، أخرج الملك إلى غير رجعة.

ومنذ ذلك الوقت ألقينا على كاهلنا مسئوليات شعب جديد. وأصبح لزاما أن يتولى الشعب أمره بنفسه وينظم صفوفه لكي يستطيع تحمل المسئوليات التي ألقيت على عاتقه.

الرئيس يتمسك بالديمقراطية

وتذكرون بعد ذلك الخطوات التي تمت .. فلقد اجتمعنا في قيادة الثورة يوم 27 يوليو 1952 وطلب الرئيس جمال بعد الناصر أن نقرر. هل نأخذ بالديمقراطية أم بالدكتاتورية كفلسفة رئيسية لنظام الثورة..... وكنا نجلس حول المنضدة ثمانية.. سبعة والرئيس جمال عبد الناصر على رأس المنضدة .. وخرجنا نحن السبعة، بعد المناقشة، برأي واحد هو أنه لابد من تطبيق الدكتاتورية لكي يمكن القضاء على أعداء الشعب والسير بالثورة.

وكان الرئيس جمال وحده يرى أن يأخذ بالديمقراطية أساسا لنظام الحكم، وقال في تدبير رأيه أننا قد قمنا بالثورة لكي نخلص الشعب من المظالم ومن الحكم الإرهابي الدكتاتوري، فكيف نطبق نحن دكتاتورية جديدة... أنني لا أستطيع أن أسير معكم في الدكتاتورية ولا أتحمّل مسئوليتها وأقول لكم أن هذا الطريق سيؤدي بالبلاد إلى الدمار.....

وأعلن الرئيس جمال استقالته من مجلس قيادة الثورة ومن الجيش، وانصرف إلى بيته، وبعد ساعة واحدة من انصرافه انتهينا إلى قرار، هو أن يعود جمال إلى مكانه بيننا ليطبق ما يريد من نظم فنحن نثق في إخلاصه وتقديره للأمور ... وفي اليوم التالي عاد جمال عبد الناصر.

ومنذ ذلك الوقت أخذت ثورتنا شكلها.. وبدأت تعد للديمقراطية الصحيحة.

أول خطوة.....

وكانت أول خطوة هي الإعلان للأحزاب بأن تطهر نفسها بنفسها حتى تستطيع أن تتحمل أعباء الحكم. ولكن الأحزاب راوغت في عملية التطهير ثم طلبنا منها رسميا أن تلتزم أمام الشعب

بمسئولية تطبيق قانون تحديد الملكية.. ومرة أخرى رفضت الأحزاب، ثم بدأت تثير البلبلة والانقسام بين الشعب، وأكثر من ذلك حاولت أن تتآمر لتصل إلى الحكم والسلطان.

فترة الانتقال

وكان لابد من اتخاذ إجراء حازم .. وفي 16 يناير سنة 1953 صدر قانون بإلغاء الأحزاب وألغي الدستور الذي كانت تحتمي فيه تلك الأحزاب.. وأعلنت فترة انتقال تبدأ من 16 يناير 53 وتنتهي في 16 يناير 1956 تحك البلاد خلالها بدستور مؤقت من عشر مواد.. وكان الهدف من إعلان فترة الانتقال هو أن نصفي العقلية الحزبية في وطننا بعد ما اتضح أنها لا تستطيع حتى بعد الثورة أن تستجيب لمطالب الشعب.

وكان لابد أيضا من لم شمل شعبنا.. كان لابد من توحيد الشعب إذا أريد أن نسير بركب هذه الثورة. وهدف آخر من أهداف فترة الانتقال هو أن نمحو الماضي بأكمله بمآسيه ونستعد للمستقبل بأوضاعه الجديدة.....

وأیضا تصفية الأوضاع القديمة بالنسبة للمستعمر الذي كان ولا زال حتى ذلك الوقت يحتفظ بـ 85 ألف جندي في قاعدة القتال.

الشعب والحكم والثورة

ولننظر إلى شكل الشعب والحكم والثورة في خلال سنوات فترة الانتقال. فبالنسبة للحكم.. كان مجلس قيادة الثورة، هو مجلس يقود الثورة ويحكم في نفس الوقت برياسة الرئيس جمال عبد الناصر.

وكان الشعب مكتتلا، ولكن: لم يكن هناك تنظيم شعبي سياسي يربط بين الشعب والقيادة. بل كان الشعب يؤمن بأهداف الثورة وبقية الثورة... وكان القيادة مؤمنة بالشعب وبأهداف الشعب. ومن أجل ذلك ظلت كتلة الشعب تقف من وراء القيادة لم يحدث أبدا سوء فهم بين القيادة وبين الشعب، لأن القيادة كانت تحمل شعارات الشعب وتنفذها فعلا.

ثورتنا تختلف

ولكن هذا في عرف النظم السياسية يعتبر أمرا خطيرا.. فلا يمكن أبدا في عرف أي نظام سياسي أن يكون هناك فراغ بين القيادة وبين الشعب. ولكن ثورتنا أيضا ثورة تتميز بشخصية ذاتية مختلفة عن أية ثورة أخرى.

ثورتنا تختلف كلياً عن الثورة الشيوعية سنة 17 وعن ثورة كمال أتاتورك. وعن ثورة موسوليني أو هتلر. ثورتنا لها شخصية ذاتية.. ولم تأخذ من أي ثورة سبقتها. ولكنها خرجت من هذه الأرض وشكلتها الظروف التاريخية التي صنعت أهداف الثورة ووضعت لها خط سيرها ومقوماتها.

لماذا انتصرنا

وأعود إلى فترة الانتقال.. لقد أمكن تصفية الوضع الداخلي والقضاء على الحزبية والزعامات... وأمكن إمضاء اتفاقية الجلاء مع بريطانيا وقضت الثورة على عملية احتكار السلاح التي يقوم بها الغرب للسيطرة على هذه المنطقة ويعود ذلك كله إلى أن الشعب قد توحد لأول مرة...

وجدت القيادة التي يثق فيها الشعب وتثق هي في الشعب. وقبل أن يحل ميعاد انتهاء فترة الانتقال.. كان لابد أن نعد دستوراً للاستفتاء. وكان علينا أن ننص في هذا الدستور على شكل الحكم بعد فترة الانتقال. وكان لابد أن تكون الفلسفة الأساسية لهذا الشكل هي الديمقراطية.

مفهوم الديمقراطية

وبدأنا نستعرض كل النظم السياسية التي تحيط بنا. إن مفهوم الديمقراطية عند الغرب هو قيام أحزاب. كل حزب يمثل طبقة أو قطاعاً من قطاعات الشعب... وهذه الأحزاب تتقدم ببرامج إلى الشعب. وكل حزب يتولى الحكم وهكذا. وبدأ سؤال... هل سنأخذ بشكل الديمقراطية في الغرب. أي ننص في دستورنا على قيام الأحزاب بمفهومها في الغرب.....

هل نسمح مرة أخرى بقيام أحزاب عندنا؟ نحن نفهم أن تقوم أحزاب في بلد كبريطانيا... ففي بريطانيا تقوم الأحزاب على مبادئ معينة. فحزب المحافظين يمثل الرأسمالية وحزب العمال يمثل الاشتراكية وكلا الحزبين يهدفان إلى رفاهية الفرد البريطاني ولا يهدفان إلى الصراع على الحكم.

أما عندنا في بلدنا... فهل كانت الحزبية تقوم على برامج مختلفة. أي هل كان هناك خلاف مذهبي بين الأحزاب؟ وهل نحن فعلاً بعد الثورة في حاجة إلى صراع أم إلى بناء، : في بريطانيا بنى المجتمع البريطاني فعلاً وقام فعلاً. أما هنا في بلادنا فقد خرجنا من تحت السيطرة البريطانية ومجتمعنا لم يبن بعد... والطبيعي أن البناء هو الهدف الذي تتجه إليه جهودنا...

لأن هذا البناء سيضمن رفع مستوى معيشة المواطنين لكل هذه الأسباب رأينا أننا نكون قد خنا هذا الشعب إذا سمحنا بالصراع الحزبي مرة أخرى... ورفضنا أيضا فكرة نظام الحزب الواحد لأنه لا يوفر الديمقراطية التي ننشدها.

تجربتنا أثار الطريق

وكان علينا أن نبحث عن شكل جديد ليس كشكل فقط بل كجوهر أيضا يحافظ على انتصارات الشعب منذ قيام الثورة ويحقق له اشتراكا فعليا في مسؤوليات بلدنا ويجنبنا الصراع في الداخل وكل المآسي التي سببتها الأنظمة التي طبقت قبل الثورة. وكانت تجربتنا هي التي تستطيع أن تدلنا على الطريق السليم لقد عرفنا ولمسنا إننا حينما اجتمعت أراذلتنا كشعب استطعنا أن نحرز الانتصارات تلو الانتصارات.

الاتحاد القومي

من هنا نشأت فكرة الاتحاد القومي.

الاتحاد القومي هو خلاصة تجربتنا وخلاصة انتصاراتنا في معاركنا كمعركة بريطانيا ومعركة الجلاء ومعركة السلاح ومعركة التأميم ومعركة العدوان المسلح. إذن لا بد أن نراعي هذه الوحدة وهذا الاتحاد وأن نراعي توحيد أهدافنا وصفوفنا وإلغاء الانقسامات بيننا. الاتحاد القومي إذن هو تنظيم سياسي يجمع الشعب كله لأن معركتنا الآن معركة بناء وليست معركة صراع.

الاتحاد القومي هو تنظيمنا السياسي حيث يتمتع الجميع فيه بحرية مطلقة في المناقشة وفي النقد ولكي نستطيع أن نحقق لأنفسنا مستوى المعيشة الذي نريده لمواطنينا. ..

هذه فلسفتنا

إن العالم يطبق على مذاهب معينة... مذاهب اقتصادية لها لون سياسي ينعكس على هذه المذاهب. ففي العالم اليوم. شيوعية واشتراكية ورأسمالية. وعلينا في اتحادنا وفي نظريتنا الجديدة أن نحدد مكاننا في مثل هذا الصراع بين المذاهب. نحن ننادي أولا بالديمقراطية والاتحاد..... وننادي ثانيا ببناء مجتمع اشتراكي ديمقراطي تعاوني.

وعندما نتكلم عن فلسفة الاتحاد القومي... نجد شيئا آخر جديد. فبالنسبة لثورتنا حصل التطبيق العملي قبل وضع فلسفة للثورة... نحن قبل الثورة لم نجلس لنكتب نظرية معينة نضع لها. أسسا

معينة وطبقناها كما هي بعد الثورة... إنما الذي حدث أنه بعد أن قامت الثورة ووجهنا بضرورة العمل في كل الميادين.. لم نتردد ومضينا قدما إلى العمل. ولذلك فإننا حين نريد أن نتكلم عن فلسفة الثورة علينا أن نبحث عما تم من أعمال خلال ثورتنا.. ومن هذا نخرج بالأيدولوجية أو الفلسفة. وأريد أن أكرر وأؤكد أننا لم نستورد نظرية من الشرق أو من الغرب، ولن نستورد أبدا. وإنما الذي يملئ نظريتنا هو شعبنا ووضعنا التاريخي ومعتقداتنا وبيئتنا، وكل ما يحيط بشعبنا من ظروف وتطورات وأمر آخر.. ثورتنا منذ أن قامت لا تمثل حزبا وليست امتدادا لحزب معين... ولا تمثل نظرية بذاتها من النظريات التي نسمع بها في العالم. إن ثورتنا قامت لتمثل مجموع الشعب كله. ثورتنا لا تمثل طبقة ولا تغلب طبقة واحدة على باقيه الطبقات.

وقائدنا جمال يمثل الشعب كله.. وينظر إلى الشعب كله ولا ينظر إلى طبقة أو طبقات. هذه مسائل حيوية لا بد أن نعرفها إذا ما أردنا أن نحدد أيدولوجية الاتحاد القومي.¹

ديمقراطيتنا

نحن نؤمن بالديمقراطية ولكن على طريقتنا.. أي على طريقة الاتحاد القومي وطريقة شعبنا.. لا على طريقة الشرق أو الغرب... لقد ربطت الديمقراطية في الغرب نفسها بالرأسمالية.. حقيقة أن الغرب يتمتع أفراده بالحرية، ولكن هناك تمايز طبقي وصراع طبقي عنيف.. فما زالت الطبقة الرأسمالية تملك وسائل الإنتاج وتتحكم في مقدرات شعبها ومقدرات شعوب المستعمرات... ولكن في ديمقراطيتنا نحن نتدخل الدولة لكي تحد من تراكم الأموال عند صاحب رأس المال وتنظم العلاقة بينه وبين العامل... ولا تعترف بالألقاب كما هو حاصل في الغرب.. إنما نعتبر الشعب كله مواطنين فقط.

ديمقراطيتنا تختلف تماما.. فكل فرد في بلدنا له حق التملك.. ولكن ملكيته محدودة بحد معين حتى لا تتراكم الثروات في أيدي قليلة... ونحن لا نلجأ إلى الإجراءات التعسفية ولا نغلب طبقة على طبقة نحن نعتزف بوجود الطبقات، ولكننا لا نعتزف بحدّة الصراع بينها. نحن نعمل على ألا تسود طبقة على طبقة. نريد أن تجلس الطبقات جنبا إلى جنب وأن تغلب حاسة المنفعة العامة على حاسة المنفعة الخاصة.

اشتراكيّتنا

* القاعدة الشعبية تأليف الرئيس محمد أنور السادات.

والاشتراكية موجودة في العالم .. هناك اشتراكية في روسيا والصين وإنجلترا.. إلخ. ونحن هنا نبنى مجتمعا اشتراكيا ديمقراطيا .. ولكن.... اشتراكييتنا تختلف عن اشتراكية روسيا والصين وإنجلترا... اشتراكييتنا ليست اشتراكية ماركسية تعد المجتمع إلى مرحلة أخرى هي الشيوعية واشتراكييتنا تختلف عن الاشتراكية التي يؤمن بها حزب العمال في بريطانيا لأن اشتراكية حزب العمال البريطاني ما هي إلا تثبيت للنظام الرأسمالي..... اشتراكية حزب العمال البريطاني تؤمن باستقلال شعوب المستعمرات. أما اشتراكييتنا فتنادي بحق تقرير المصير لكل شعب، وتنادي بأن موارد كل شعب من حقه وليست لمستعمر أو دخيل....

من كل هذه المقارنات نستطيع أن نحدد شخصيتنا التي تختلف كل الاختلاف عن الشرق والغرب.

إن فلسفتنا تنبع من بلادنا، وإن هدفنا هو أن نجعل المجتمع أسرة واحدة يشترك كل فرد فيها في العمل والبناء.²

أنور السادات

² القاعدة الشعبية = بقلم الرئيس محمد أنور السادات. مودع/ بدار الكتب والوثائق التاريخية / تحت رقم 25121/25112 بتاريخ 1959/6/28.